المحاضرة الأولى: .المسيحية من خلال القرءان الكريم :

القرءان الكريم تحدّث عن النصارى و عقائدهم و موقفهم من المسيح عليه الصلاة و السّلام و اختلافهم في ميلاده و رفعه و نهايته ، و حاول في كلّ آياته أن يصحّح تحريفهم و يبيّن الصواب و الحقّ في المسيح و الدّين الذي جاء به ، وسنحاول استعراض بيان القرءان الكريم في نقاط :

1 . من الميلاد إلى الرّفع :

لقد ورد في كثير من آي القرءان الحديث عن عيسى عليه السلام و دعوته و معجزاته و أسرته و كثير من تفاصيل حياته ، إلّا أنّ سورتي آل عمران و مريم قد تفرّدتا بجمع كثير ممّا تفرّق في غيرهما وزادتا كثيرا من التّفاصيل لم تذكرهما باقي المواضع ، فعند قراءة الآيات التي في سورة آل عمران من قوله تعالى : إنّ الله اصطفى ءادم و نوحا و ءال إبراهيم و ءال عمران.....إنّ هذا لهو القصص الحقّ وما من إله إلّا الله و إنّ الله لهو العزيز الحكيم"آل عمران 33-62. نجد أنّ هذه السورة لخّصت حياته من الميلاد إلى الرّفع و بيّنت رسالته و الدّعوة التي جاء يبشّر بها ؛ ويمكن اختصار احداث الآيات في الآتي:

-أنّ عيسى عليه السلام ينتمي إلى اسرة قد اصطفاها الله تعالى من ءادم إلى عمران .

-و أنّ أمّه صدّيقة كانت متفرّغة للعبادة على غير عادة أهل زمانها و أنّ رزقها كان يأتيها رغدا على غير ميعاد .

-كلام الملائكة مع مريم عليها السلام و تبشيرها بعيسى عليه السلام .

-ذكر معجزة الكلام في المهد و تعليم الله له التوراة و الإنجيل و أنّه جاء رحمة لبني إسرائيل و أنّه يحلّ لهم بعض ما حرّم عليهم و أنّه جاء بآيات عظيمة مثل إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص.

- أنّه رسول من عند الله جاء بالتوحيد و نبذ الشّرك .

-كفر اليهود بدعوته و إيمان الحواريّين به و إسلامهم لله ربّ العالمين.

-ذكر النهاية و أنّها كانت نهاية رفع و تطهير من الذين كفروا .

- تشبيه خلق عيسى بخلق ءادم عليه السلام.

ولا تختلف سورة مريم (15-40) عن نظيرتها آل عمران إلّا في زيادة بعض التّفاصيل ، مثل ذكر بعض تفاصيل الحمل و المخاض و مثل اعتراض قومها لما جاءت به إليهم تحمله و مثل حديثه في المهد و إخباره لهم أنّه عبد الله آتاه الكتاب و جعله نبيّا إليهم و أنّه مأمور بالصّلاة و الزّكاة .

إذن هذه هي حياة المسيح عليه الصلاة و السّلام :

1.حياة بدأت بطريقة عجيبة لم تعهدها البشرية ؛ فالميلاد كان غير طبيعيّ :" الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنّما يقول له كن فيكون" آل عمران:47 ، ويبيّن القرءان " إنّ مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون" آل عمران:59 ؛ أي كما خلق الله تعالى ءادم عليه السلام و ابتدأه على غير مثال سابق يقدر على خلق عيسى عليه السلام من لاشيء .

2. و اكتنفها أمور عجيبة ، هي آيات له جرت على يديه بإذن الله تعالى تأييدا له و توفيقا في دعوته ، " إنّي أخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير فأنفخ فيه فيكون طائرا بإذن الله و أبرئ الأكمه و الأبرص بإذن الله و أحيي الموتى بإذن الله و أنبّئكم بما تاكلون و ما تدّخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مومنين "آل عمران:49 .

3. وانتهت أيضا بطريقة عجيبة ، فقد كانت نهايته نهاية رفع إلى السّماء و حفظ من كيد الأعداء : " إذ قال الله ياعيسى إنّي متوفّيك و رافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا" آل عمران:57. و قوله تعالى : " بل رّفعه الله إليه و كان الله عزيزا حكيما"النّساء158.

هذه هي الأحداث الهامّة التي ذكرها القرءان الكريم عن حياة عيسى عليه السّلام ، فقد ركّز على حدثين مهمّين : الميلاد : لما يتعلّق به من عقائد التّثليث و البنوّة ، و النّهاية : لما يتعلّق بها من فداء و صلب ، أمّا التّفاصيل غير المهمّة خاصّة مرحلة مابين الميلاد إلى البعثة فيسكت القرءان عنها و لا يهتمّ لها لأنّها لا يترتّب عليها علم و لا عمل ، خلافا للأناجيل التي استطردت في ذكر التّفاصيل و استغرقت في الحديث عن حياة المسيح عليه السلام قبل خروجه للناس للتّبشير .

2. **دعوته عليه الصّلاة و السّلام** :

أ.. بشريته و عبوديته لله سبحانه :

يبيّن القرءان الكريم أنّ المسيح عيسى عليه السلام عبد مخلوق لله تعالى يجري عليه ما يجري على سائر الناس ، ولذلك كان أوّل ما نطق به المسيح في المهد " إنّي **عبد** الله آتاني الكتاب و جعلني نبيئا" مريم :30 ، ويقول الحقّ سبحانه :" لن يستنكف المسيح أن يكون **عبدا** لله ولا الملائكة المقرّبون ، ومن يستنكف عن عبادته فسيحشرهم إليه جميعا" النساء ، ويقول سبحانه أيضا " إن هو إلا **عبد** أنعمنا عليه و جعلناه مثلا لبني إسرائيل" الزخرف. و ما دام أنّه عبد لله سبحانه و تعالى فهو خاضع له مؤتمر بأوامره منته عن نواهيه : " و أوصاني بالصلاة و الزكاة ما دمت حيّا و برّا بوالدتي ولم يجعلني جبّارا شقيّا"مريم: .

وهو بشر ضعيف ، يحتاج إلى ما يحتاج إليه كلّ النّاس من الأكل و الشّراب و النّوم وسائر الحاجات ، فلو كان إلها كما يزعمون لما احتاج ؛ يقول سبحانه: " ما المسيح ابن مريم إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل و أمّه صدّيقة كانا ياكلان الطعام " المائدة:75.

وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرّا ؛ " قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم و أمّه ومن في الأرض جميعا" المائدة:17

ب.نبوّته و كتابه :

القرءان الكريم يخبر أنّ عيسى عليه السّلام مجرّد نبيّ و رسول ، آتاه الله الكتاب و أرسله إلى بني إسرائيل ليخرجهم من الضّلال الذي هم فيه ؛ يقول الحقّ سبحانه متحدّثا عن رسالته :" و بكفرهم و قولهم على مريم بهتانا عظيما و قولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله" النساء:155-157 ، وقوله سبحانه " إنّي عبد الله ءاتاني الكتاب و جعلني نبيّا" مريم : ، و قوله سبحانه: " ما المسيح ابن مريم إلّا رسول قد خلت من قبله الرّسل و أمّه صدّيقة " المائدة:

أمّا الكتاب الذي جاء به فهو الإنجيل ؛ " ثمّ قفّينا على ءاثارهم برسلنا و قفّينا بعيسى ابن مريم و ءاتيناه الإنجيل " الحديد : 27 ، وهو كتاب منزّل من السّماء ؛ يقول الحقّ سبحانه " و أنزل التوراة و الإنجيل من قبل هدى للناس و أنزل الفرقان " آل عمران:2-3. وقد جاء كتابه مصدّقا لما بين يديه من التوراة و ليحلّ لبني إسرائيل بعض ما حرّم عليهم ؛ يقول الله سبحانه و تعالى :" و مصدّقا لما بين يديّ من التوراة و لأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم" آل عمران:50 .

ج.دعوته للتوحيد الذي هو الإسلام الذي جاء به كلّ الأنبياء :

إنّ دعوة جميع الأنبياء هي الإسلام ، منذ ءادم إلى محمّد عليهم و على نبيّنا أفضل الصلاة و السّلام يقول الحقّ سبحانه عن الدّين الذي لا يقبل غيره:" إنّ الدّين عند الله الإسلام "آل عمران:19 ، وقوله سبحانه :" ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يّقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" آل عمران:85 ، و يخبر أنّ إبراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما :" ما كان إبراهيم يهوديا و لا نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين :" و هو دعاء إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام أثناء بناء البيت" و إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت و إسماعيل ، ربّنا تقبّل منّا إنّك انت السّميع العليم ربّنا واجعلنا مسلمين لك و من ذرّيتنا أمّة مسلمة " البقرة:127-128 و هو وصيّة إبراهيم و يعقوب عليهما السلام لذرّيتهم:" و أوصى إبراهيم بنيه و يعقوب يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدّين فلا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون" البقرة :132 ، و هو دعوة موسى عليه السلام :" وقال موسى يا قوم إن كنتم ءامنتم بالله فعليه توكّلوا إن كنتم مسلمين"

يونس:84 ، و هو دين سليمان عليه السلام : قالت ربّ إنّي ظلمت نفسي و أسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين"النمل:44

و لم يختلف عيسى عليه السلام فيما جاء به عن إخوانه الأنبياء ؛ فهو قد جاء بالإسلام الذي يدعو لعبادة الله وحده و عدم الإشراك به ؛ يقول الحقّ سبحانه :" فلمّا أحسّ عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ءامنّا بالله واشهد بأنّنا مسلمون " آل عمران :52 ، و يقول الحقّ سبحانه : و إذ أوحيت إلى الحواريين أن ءامنوا بي و برسولي قالوا ءامنّا واشهد بأنّنا مسلمون" المائدة:111 .

ولأنّ الإسلام قائم أساسا على التّوحيد فكلّ من أشرك مع الله إلها آخر أو نسب إليه الصاحبة و الولد فهو كافر ؛ فأمّا دليل كفرهم و تبرّئ عيسى عليه السلام من بهتانهم فقوله تعالى :" لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربّي وربّكم إنّه من يّشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة و مأواه النّار وما للظالمين من أنصار" المائدة :72 ، وينقل القرءان في سياق آخر نفس التبرّأ من هذه التّهمة الشّنيعة: "و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتّخذوني و أمّي إلاهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنّك أنت علّام الغيوب ، ما قلت لهم إلّا ما امرتني به أن أعبدوا الله ربي و ربّكم و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم و أنت على كلّ شيء شهيد"المائدة:116-118.

و أمّا دليل كفر من جعل الله ثالث ثلاثة فقوله سبحانه :" لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة و ما من إله واحد و إن لّم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم" المائدة:73 ، ويقول سبحانه :" يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم و لا تقولوا على الله إلّا الحقّ ، إنّما المسيح رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه فآمنوا بالله و رسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خير لّكم إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و الأرض وكفى بالله وكيلا" النساء:171.

و أمّا دليل كفر من قال عنه إنّه ابن لله :" وقالوا اتّخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا يكاد السماوات يتفطّرن منه و تنشقّ الأرض و تخرّ الجبال هدّا أن دعوا للرحمان ولدا وما ينبغي للرحمان أن يتّخذ ولدا إن كلّ من في السماوات و الأرض إلّا ءاتي الرحمان عبدا" مريم:88-93. وقوله سبحانه : بديع السماوات و الأرض أنّى يكون له ولد و لم تكن له صاحة و خلق كلّ شيء و هو بكلّ شيء عليم" الأنعام :101-102 ، و قوله سبحانه: "و ينذر الذين قالوا اتّخذ الله ولدا ما لهم به من علم و لا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلّا كذبا" الكهف:4-5 ، وقوله سبحانه:" إنّما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات و الأرض وكفى بالله وكيلا"النساء:171 وقوله سبحانه :" قالوا اتّخذ الله ولدا ،سبحانه هو الغنيّ ، له ما في السماوات و ما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولن على الله ما لا تعلمون قل إنّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع في الدّنيا ثمّ إلينا مرجعهم ثمّ نذيقهم العذاب الشّديد بما كانوا يكفرون" يونس:68-70.

إذن هذه هي دعوة المسيح عيسى عليه الصّلاة و السّلام ؛ دعوة إلى الإسلام دين جميع الأنبياء عليهم الصّلاة و السّلام ، و هي دعوة إلى التوحيد و نبذ الشّرك ، و إلى عبادة الله وحده من إقامة الصّلاة و إيتاء الزّكاة و برّ الوالدين و تحليل ما أحلّ الله و تحريم ما حرّمه.

3. مناقشة القرءان لعقيدتي الصّلب و الفداء :

أ.مناقشة القرءان لعقيدة الفداء :

يعتقد المسيحيون أنّ المسيح جاء لتخليص البشرية من الخطيئة الأولى ، الموروثة ، بتقديم نفسه ذبيحة لله ، أي بأن صُلب على الصليب.

لكنّ القرءان الكريم يردّ على هذه العقيدة الباطلة وينسفها من الأساس ؛ فالقرءان بيّن :

-أنّ آدم عليه الصلاة و السّلام لما أخطأ بأكله من الشجرة استغفر ربّه : " قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا و إن لّم تغفر لنا و ترحمنا لنكوننّ من الخاسرين" الأعراف : 23 و أنّ ربّه عزوجلّ الهمه كلمات ليتوب عليه وقبل توبته :" فتلقّى ءادم من ربّه كلمات فتاب عليه إنّه هو التوّابّ الرّحيم" البقرة:37، و أنّ الله عز وجلّ اجتباه ربّه بعدها و هداه : " و عصى ءادم ربّه فغوى ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه و هدى"طه:121-122. فكيف يدّعى بعد ذلك أنّ المعصية الأولى ورّثها ءادم لذرّيته و الله تعالى أصلا قد تاب على صاحبها و غفر له ؟

-أنّ الخطيئة لا تورث و أنّ " كلّ نفس بما كسبت رهينة " المدّثر:38 ، و في هذا كثير من الآيات القرءانية تبيّن " ولا تزر وازرة ورز أخرى"فاطر:18 ، و أنّ الإنسان يحاسب يوم القيامة بما قدّمت يداه و ليس بما قدّم غيره " و أن ليس للإنسان إلّا ما سعى و أنّ سعيه سوف يُرى ثمّ يجزاه الجزاء الأوفى" النجم:39-41. و أنّ الله لو عذّب بذنوب الغير لكان ظالما – سبحانه و تعالى :" وما ربّك بظلّام للعبيد "فصّلت:46. بل يبيّن الله تعالى أنّ الناس يوم القيامة يفرّ بعضهم من بعض فلا يتحمّل احد وزر آخر :" يوم يفرّ المرء من أخيه و أمّه و ابيه و صاحبته و بنيه ، لكلّ امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" عبس:34-37.

يطرح الدكتور أحمد شلبي أسئلة في هذا الصّدد ، لو تأمّلها المسيحيون لدمغتهم ولحاججتهم ؛يقول : " – إذا كان الكلمة قد تجسّد لمحو الخطيئة الأصلية فما العمل في الخطايا التي تحدث بعد ذلك ؟

ومعنى هذا أنّ خطيئة واحدة قد محيت و أنّ ملايين الخطايا سواها قد بقيت و جدّت بعد ذلك و سيحاسب النّاس ويعاقبون ، و بعض ما اقترفوه أقسى من من عصيان آدم ، لقد أنكر بعض النّاس وجود الله ، وهاجمه آخرون وسخروا بجنّته وناره ، فلماذا كانت مظاهر التجسّد في خطيئة واحدة و تركت خطايا لا تعدّ؟

– و أين كان عدل الله و رحمته منذ حادثة آدم حتّى صلب المسيح ؟ ومعنى هذا أنّ الله ظلّ حائرا بين العدل و الرّحمة آلاف السّنين حتّى قبل عيسى منذ ألفي عام أن يّصلب للتكفير عن خطيئة آدم ؟

– ويلزم في جميع الشّرائع أن تناسب العقوبة الذنب ، فهل يتمّ التوازن بين صلب المسيح على هذا النحو و بين الخطيئة التي اتركبها ءادم؟

– وقد مرّت بالبشر منذ عهد ءادم إلى عيسى عليهما السلام أحداث و أحداث وهلك كثير من الطّغاة و بخاصّة في عهد نوح ، حيث لم ينج إلّا من ءامن بنوح و اتّبعه و ركب معه السّفينة ، فهؤلاء هم الذين رضي الله عنهم فكيف يبقى بعد ذلك ضغينة وكراهية تحتاجان لأن يضحّي عيسى بنفسه فداء للبشرية؟"

ب. مناقشة القرءان لعقيدة الصّلب و القيام :

يعتقد المسيحيون أنّ المسيح لأجل أن يخلّص البشرية من الخطيئة الموروثة تمّ صلبه على الصّليب و أنّه مات وقُبِر ثمّ قام بعد ثلاثة أيّام من موته من بين الأموات منتصرا على أعدائه و صعد إلى السّماء و جلس عن يمين ربّه ليدين الناس و يحاسبهم. ، و هذا الأمر موجود في كلّ الأناجيل و حتّى الرّسائل ، وسيأتي الحديث عن هذا الأمر بتفصيل عند الحديث عن عقائد النّصارى.

أمّا القرءان فيفنّد هذا الزّعم و يكذّبه و يبيّن أنّ يد الأعداء لم تتمكّن من المسيح عبد الله و رسوله و أنّ الله تكفّل بحفظه و تخليصه منهم، يقول الحقّ سبحانه : "و إذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلّا سحر مبين" المائدة:110.

يبيّن القرءان أنّ نهاية المسيح في الأرض هي نهاية رفع إلى السّماء و تطهير من كيد الأعداء ؛ يقول الحقّ سبحانه : " إذ قال الله يا عيسى إنّي متوفّيك و رافعك إليّ و جاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا ثمّ إليّ مرجعكم فأحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون" آل عمران:55.

ذكر ابن كثير في تفسير الآية عدّة أقوال:

أنّ في "إنّي متوفّيك و رافعك إليّ " تقديم و تأخير ، وتقديرها : إنّي رافعك إليّ ومتوفّيك ، يعني بعد ذلك .

وقال بعضهم : متوفّيك أي مميتك

وقال الأكثرون : المراد بالوفاة هنا –النوم ،كما قال تعالى :" و هو الذي يتوفّاكم بالليل " الأنعام : 60 ، و قال :" الله يتوفّى الأنفس حين موتها و التي لم تمت في منامها" الزمر:42

و معنى الآية بحسب قول الجمهور من المفسّرين أنّ عيسى عليه السّلام رفعه الله إليه ولم يمكّن أعداءه منه ، و أنّ الإعتقاد بصلبه وقتله هو تخرّص من النّصارى و نشر لقول ليس لهم منه إلّا الظنّ الباطل و الشكّ ؛ قال الله تعالى :"و قولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شُبِّه لهم ، و إنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكّ منه ما لهم به من علم إلّا اتّباع الظنّ و ما قتلوه يقينا ، بل رّفعه الله إليه و كان الله عزيزا حكيما " النساء: 156-159.

هذا خلاصة القول في مسألة نهاية المسيح عليه الصلاة و السّلام ؛ إنّها نهاية تكريم و تشريف و تطهير و رفع إلى السّماء ،حسمها القرءان الكريم و أوصد الباب أمام التّأويل و الشكّ و الظنّ الباطل الذي لازال المسيحيون متمسّكين به ، ولذلك علّم الله نبيّه صلى الله عليه و سلّم بعد أن ساق له حكاية المسيح عليه السّلام أن يباهل النّصارى المجادلين بالباطل ؛ يقول سبحانه :" فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و ابناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم فنجعل لّعنت الله على الكافرين" آل عمران:61.